الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية (تابع)

د. عبد الحميد بوفاس

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة

تعريف الازدواجية اللغوية في بعض الدراسات العربية :

1- كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي، حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون :

يذهب مؤلفو كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي إلى مقابلة مصطلح الازدواجية اللسانية بالمصطلح الأجنبي le bilinguisme، حيث عرفوها بقولهم : " إنّ الازدواجية في عرف اللسانيين هي التقاء لسانين مختلفين قد يكونان من أسرة لسانية واحدة ، أو من أسرتين مختلفتين." [i]

ويضيف الدارسون أنّ تلك الازدواجية:[ii]

- قد تكون ظاهرة فردية أو جماعية.
- الازدواجية السائدة في البلدان العربية هي ازدواجية جماعية مفروضة عليها فرضا ، وهي تعود إلى أسباب تاريخية أو إن شئنا استعمارية.
- إن بدت في الظاهر شبيهة بأمر الثنائية ، إلّا أنّها تختلف عنها اختلافا شديدا.
- أكثر ضررا من الثنائية اللغوية ، وإن كانت هذه الأخيرة أيضا مضرّة.
- لا تحمل إلينا استعمالا لغويا فحسب، وإنما تحمل إلينا فكرا مغايرا وثقافة مختلفة ورؤية للكون والوجود والأشياء لا تتفق ورؤيتنا نحن.

- تولّد صراعا تختلف درجته بين الحدّة والخفوت ، وذلك حسب طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكذا حسب طبيعة العلاقة الكائنة بين الألسن المختلفة. كما أنّ ذلك الصراع يؤدّي إلى وجود غالب ومغلوب ، ومن دون شكّ ، إنّ الغالب يطمس كلّ مقومات المغلوب ، وينجم عن ذلك اضمحلال لسان المغلوب، وربّما التلاشي والموت. بل أبعد من ذلك فقد ينجرّ عن ذلك الصراع تشكيل خرائط جغرافية وبشرية لم تكن موجودة من قبل.

2-كتاب مدخل إلى علم اللغة لإبراهيم خليل:

يقابل الباحث إبراهيم خليل في مؤلفه مدخل إلى علم اللغة مصطلح الازدواجية اللغوية بالمصطلح الأجنبي diglossia ، ويعرّفه بقوله : " ونعني بهذا التعبير وجود لغة للكلام اليومي أو local dialect اللهجة المحلّية، ولغة أخرى هي لغة الكتابة والمخاطبات الرسمية المدونة والمحاضرات والأحاديث والخطب الدينية ، أي أنّ المتكلّم نفسه يتكلّم في حياته اليومية بلغة ، ولكنه عندما يقوم بكتابة شيء ممّا يقوله يلجأ على اللغة الأخرى." [iii]

3- كتاب اللغة والتواصل التربوي ، مقاربة نفسية وتربوية، تأليف مجموعة من الباحثين:

يشير مؤلفو الكتاب إلى قضية الازدواجية اللغوية أثناء حديثهم عن لغة الطفل العربي ، لأنّ لها تأثيرا في اكتسابه اللغة العربية وتعليمه إيّاها.

فيرى الباحثون أنّ ظاهرة الازدواجية اللغوية digliossie " ليست خاصية تنفرد بها اللغة العربية دون غيرها من اللغات ... ويقصد بها : تواجد نظامين/ نوعين لغويين مختلفين في مجتمع ما تجمع بينهما أواصر قربى وعلاقة نسب (كأن تكون من باب علاقة الأصل بالفرع) ، وقد لا يكون شرط العلاقة شرطا لازما."[iv]

ويمثّل النوع الأوّل الاستخدام السّامي- وفق معيار المراتبية-(الراقي/ الفصيح) ، في حين يمثّل الثاني لهجة/لهجات محلّية تكون في مرتبة دونية (عاميّة، شعبية، هامشية).

وتحتلّ اللغة الأولى وفق معيار توزيع الأدوار مكانة رسمية إذ يجري تداولها في المدرسة والإدارة ، في حين يكتفي مستخدمو النوع الثاني باستعماله في الحياة اليومية وفي غير ما هو رسمي.[v]

4-كتاب علم اللسان العربي للدكتور عبد الكريم مجاهد :

يتبنى الباحث مفهوم ديفيد كريستال المأخوذ من معجم اللسانيات والصوتيات ، حيث يذهب إلى أنّ الازدواجية " من مصطلحات علم اللغة الاجتماعي تشير إلى استعمال لهجتين في المجتمع الواحد ، ولكلّ منهما استعمالاتها الخاصة، وإذا كانت إحداهما تسمّى الفصحى فإنّ الثانية تسمى العامية ، ويجري تعلّم الأولى في المدارس وتستخدم في الأغراض الدينية والبرامج الإذاعية والأدب الجادّ ، وبالتالي فهي تحتل مكانة اجتماعية مرموقة ، أمّا الأخرى العامية فتعتبر غير رسمية ، لاستخدامها في الحديث العام اليومي." [vi]

ويشير الباحث إلى أنّ أول من تكلّم عن ظاهرة الازدواجية هو اللغوي الألماني كارل كرمباخر، في حديثه عنها في اليونانية والعربية ونصحه اليونان والعرب بترك الفصيح في لغتيهما وتبني إحدى اللهجات بديلا من الفصيح فيها، وأول مصطلح نحت لها هو la diglossie على يد العالم الفرنسي وليم مارسيه ، حيث عرّفه بقوله:" هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عاميّة شائعة للحديث." [vii]

في حين يذهب الدكتور نهاد الموسى أنّ هذا الاصطلاح يستعمل للدلالة على تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين في إطار أيّ لغة ، وفي إطار العربية بين العربية ولهجاتها، أو الفصحى وعامياتها.[viii]

**** الازدواجية اللغوية في المؤلفات المعرّبة :**

إنّه من الضروري النظر في بعض المؤلفات الأجنبية التي ترجمت إلى العربية ، لنقف على كيف تُرجم مصطلح الازدواجية وكذا الثنائية إلى اللغة العربية ، لنعرف فيما بعد مدى المطابقة أو البون بين المصطلحات، و هل تمّ الحفاظ على تلك الترجمات ، أم استحدثت ألفاظ أخرى ؟

وسأقتصر على ثلاث مؤلفات ، وهي : السياسات اللغوية للويس جان كالفي ، وعلم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي ، واللغة واللغويات لجون لوينز .

1- كتاب علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي ترجمة محمد يحياتن :

يشير المترجم إلى أن فرجسون اهتم بالازدواجية اللغوية الاجتماعية حينما تحدّث عن مفهوم الثنائية اللغويةdiglossie. كما أنّ ج. فيشمان j.fishman اعتبر الازدواجية الفردية من اختصاص علم النفس اللغوي . وعليه قام بتوسيع مفهوم الثنائية اللغوية من حيث هي ظاهرة اجتماعية ، يمكن أن تكون بين أكثر من نظامين وأنّ هذه الأنظمة codes ليست بحاجة إلى أن تكون ذات أصل مشترك أو علاقة قرابة .[ix]

ويضرب مثالا يوضح به الفكرة السابقة ، حيث يقول : " ومعنى هذا أنّ أي وضع استعماري مثلا، الذي تتعايش فيه لغة أوروبية ولغة إفريقية، هو من قبيل الثنائية." [x]

2-كتاب اللغة واللغويات لجون لوينز ترجمة محمد العناني

ورد الحديث عن الازدواجية في المؤلف السابق الذكر أثناء حديث المؤلف عن الفرق بين اللغات الفصيحة واللهجات العامية ، حيث يقول : " إن الفرق بين الفصيح والعامي ، في كثير من المجتمعات، قد أصبح فارقا بيّنا واضحا بحيث إنّ التفريق بينهما من الناحية الوظيفية ، سواء أكانت هذه لهجات للغة واحدة أم غير ذلك، أصبح يعرف في الكتب اللغوية الاجتماعية باسم diglossia أو الازدواج اللغوي للغة الواحدة كظاهرة من ظواهر ثنائية اللغة." [xi]

---

[i]- حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون : اللسان العربي وإشكالية التلقي ، ط(2) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2011 م ،ص/69.

[ii]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[iii] – إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة ، ط(1)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010 م، ص/71.

[iv]– مجموعة من الباحثين : اللغة والتواصل التربوي والثقافي، ط(1)، منشورات مجلة علوم التربية ، الرباط، المغرب، 2008م، ص/111.

[v]– مجموعة من الباحثين : اللغة والتواصل التربوي والثقافي، ص/111.

[vi]– عبد الكريم مجاهد : علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر، عمان، 2004م، ص/195.

[vii]– المرجع نفسه، ص/195، 196.

[viii]– المرجع نفسه ، ص/196.

[ix]– لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي ، تر: محمد يحياتن، ص/46.

[x]– المرجع نفسه، ص/47.

[xi]– جون لوينز : اللغة واللغويات ، تر: محمد العناني ، ط(1)، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م، ص/258.